كليوباترا السابعة ونهاية العصر البطلمي

كليوباترا وقيصر:

بعد وفاة بطلميوس الزمار دراحت رحى صراع طاحن بين أبنائه على الحكم؛ فقد أوصى الزمار بأن يؤول عرش مملكته إلى كُبرى بناته كليوباترا السابعة التي كانت في الثامنة عشرة من عمرها بالاشتراك مع أخيها وابنه الأكبر الذي كان صبيًا في التاسعة أو العاشرة من عمره وأن تكون روما وصية عليهما، وبعد عامين اشتبك القائدان يوليوس قيصر وبومبي في حرب أهلية عام ٤٩ ق.م هُزم بومبي، وفي العام التالي فرّ إلى مصر[١] ولم يتوجه إلى الإسكندرية، بل نزل في مكان قريب من بيلوزيوم، ولم يكد يدنو بقاربه من الساحل حتى عاجله ضابط روماني بعدة طعنات أودت بحياته عام ٤٨ ق.م، وكان ذلك بأمر من قائد جيش

١- محمد السيد محمد عبد الغني: *المرجع السابق*، ص ٦٨.

بطلميوس. فقد خشى البطالمة من غزو قيصر لمصر متزرعاً بإيوائها لخصمه بومبي. وعندما وصل قيصر إلى مصر متعقباً غريمه اكتشف أنه قد قُتل، فأدمى الحزن قلبه على صديقه القديم[٢].

سار قيصر إلى الإسكندرية في أكتوبر من عام ٤٨ ق.م.، ومشى في شوارعها تتقدمه شارات السلطة، مما أدى إلى غضب أهالي الإسكندرية. فحدثت مناوشات سقط فيها عدد كبير من الجنود الرومان في كافة أرجاء المدينة[٣].

وعلى أثر ذلك شرع قيصر في تسوية الخلاف بين كليوباترا وأخيها على عرش مصر؛ فدعا الأخوين لتسريح قواتهما وقبول تحكيمه بينهما، بيد أن قوات بطلميوس اشتبكت مع القوات الرومانية فيما عُرف بحرب الإسكندرية، التي انتهت بهزيمة قوات بطلميوس الثالث عشر وغرقه، وانتصار

---

٢ – عبد اللطيف أحمد علي: *المرجع السابق*، ص ١٧.

٣– عبد اللطيف أحمد علي: *المرجع السابق* ص ١٧.

قيصر في يناير عام ٤٧ ق.م. ونصب القائد الروماني كليوبترا بالاشتراك مع أصغر أخويها بطلميوس الرابع عشر بعد أن زوجها له[٤]. ثم اصطحبت كليوباترا يوليوس قيصر في رحلة نيلية إلى صعيد مصر على يختها الخاص للاستمتاع بمشاهدة آثار الفراعنة الغابرين، وربما لافتتاح معبد حورس –كرنك البطالمة–في إدفو، والذي استمر بناؤه مائة وثمانين عاماً، وكان ذلك بمثابة اغراء لقيصر لكي يظهر بمظهر الفرعون أوزوريس في صحبة إيزيس[٥].

وسرعان ما غادر قيصر مصر في يونيو من عام ٤٧ ق.م. تاركاً بها بعض الفرق الرومانية لدعم سلطة كليوبترا. وبعد رحيله أنجبت كليوباترا ابنًا منه تندر السكندريون به وأطلقوا عليه لقب

٤– محمد السيد محمد عبد الغني: *المرجع السابق*، ص ص ٦٨–٦٩.

٥– سيد أحمد علي الناصري: *الناس والحياة في مصر زمن الرومان*، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٢.

"قيصرون" أي قيصر الصغير، ولحقت به كليوباترا وابنها منه في روما عام ٤٦ ق.م. وعلى ضفاف التيبر في ضيعة أعدها قيصر لها أقامت هناك لمدة عامين وسط سخط وحنق بعض الرومان إلى أن قتل يوليوس قيصر ٤٤ ق.م فعادت هي وحاشيتها بعد شهر من اغتياله إلى مصر[٦].

أما في روما فبعد مقتل يوليوس قيصر، درات في روما حرب أهلية طاحنة انتهت بانتصار أوكتافيوس وأنطونيوس على أعدائهم وسيطرتهم علي الجمهورية الرومانية، ثم قاموا بتقسيم الأراضي الرومانية إلي قسمين القسم الغربي ويحكمه أوكتافيوس والقسم الشرقي ويحكمه ماركوس أنطونيوس. وتظل إيطاليا مشاعاً بين القائدين.

كليوباترا وأنطونيوس:

رحل أنطونيوس إلى القسم الشرقي، ولبت كليوباترا دعوته، فذهبت لمقابلته في طرسوس في

٦- محمد السيد محمد عبد الغني: *المرجع السابق*، ص ٦٩.

عام ٤١ ق.م. في موكب فخم، حيث اتخذت هيئة فينوس ربة الجمال عند الرومان، وقد أحاط بها مجموعة من الغلمان في شكل كيوبيد إله الحب، وأحاط بالجميع العازفون الذين راحوا يعزفون أعذب الألحان، وعادت إلى الإسكندرية بعد أن وجهت دعوة إلى القائد الروماني لزيارة مصر، وقبل أنطونيوس الدعوة، ورحل إلى مصر حيث قضى مع كليوباترا شتاء ٤١-٤٠ ق.م. ومنذ ذلك الحين أصبح أنطونيوس شديد الارتباط بكليوباترا[٧].

وفتن أنطونيوس بجمال كليوباترا ووقع في غرامها، فأصبح طوع بنانها، وفي عام ٣٧ ق.م. تزوجت كليوباترا من أنطونيوس في الوقت الذي كان لا يزال متزوجاً من أوكتافيا شقيقة أوكتافيوس مما أدي الي تأزم العلاقة بينهما، لدرجة أن أنطونيوس أعلن طلاقه من زوجته أوكتافيا شقيقة أوكتافيوس،

٧- أبو اليسر فرح: *تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان*، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٥٦-١٥٧.

وقـام بتقسـيم الأجـزاء الشـرقية مـن الإمبراطوريـة الرومانية علي كليوباترا وابنها قيصرون وأبنائه منها.

وقد استغل أوكتافيوس هذه الأخطاء التي وقع فيها أنطونيوس في الشرق لشن حملة سياسية شعواء ضده والتنديد بعلاقته بالملكة المصرية وبحكم وجود أوكتافيوس في روما أستطاع أن يثير الرأي العام الروماني ضد أنطونيوس والملكة المصرية، حيث صور موقفه علي أنه قد حول الولايات الشرقية كلها الي مملكة من الطراز الشرقي يجلس هو وكليوباترا علي عرشها ويرثها أبنائهم وهو ما يعني خيانة الشعب الروماني.

ولما كان أوكتافيوس يدرك أن لأنطونيوس أنصاراً بين الرومان، فأنه لم يعلن الحرب علي أنطونيوس حتي لا تبدو حرباً أهلية بين زعيمي روما من أجل التنافس علي السلطة وإنما أعلن الحرب علي كليوباترا باعتبارها عدوة للشعب الروماني حتي يضفي عليها صفة الحرب القومية ضد الخطر

الأجنبي القادم من الشرق، ويظهر أنطونيوس بمظهر الخائن لبلاده.

ركز أنطونيوس قواته البحرية والبرية في خليج وشبه جزيرة أكتيوم عند المدخل الضيق لخليج أمبراكيا، وانتشرت بقية القوات على خط قتال يمتد مسافة طويلة على الساحل الغربي لبلاد اليونان، أما أوكتافيوس فقد عبر البحر الأدرياتيكي، ورابط في مواجهة خليج أكتيوم، وكانت قواته بقيادة ماركوس فيبسانيوس أجريبا زراع أوكتافيوس الأيمن، في حين كان ماركوس أنطونيوس يقود قواته المدعومة بالأسطول المصري.

تمكن القائد فيبسانيوس من تطويق أسطول أنطونيوس، مما أدى إلى هزيمته، وانسحب الأسطول المصري بقيادة كليوباترا قافلاً إلى مصر، ولم يلبث أن لحق بها أنطونيوس بعد أن تحطمت معظم سفنه أو وقعت في يد العدو. وسرعان ما استسلمت قواته البرية للعدو، وهكذا لقى كل من

أنطونيوس وكليوباترا هزيمة ساحقة في شهر سبتمبر من عام ٣١ ق.م.

لم يستعجل أوكتافيوس السير إلى مصر، إنما آثر العودة إلى روما ليساوم على إنتصاره في أكتيوم للحصول على المزيد من السلطات من مجلس السناتو. وبعد مرور عام على هذا الانتصار زحف أوكتافيوس بقواته على مصر قادماً إليها من سوريا، فدخلها في اليوم الثامن من شهر مسرى الموافق الأول من الشهر الثامن من السنة الرومانية. ودخلت قواته الإسكندرية وضربت الحصار حول قصر الملكة، وعلى مدى إسبوعين كاملين، جرت مفاوضات سرية معها قادها تاجر روماني من طبقة الفرسان إسمه كورنيليوس جاللوس (والذي أصبح فيما بعد أول والي روماني على مصر) غير أن هذه المفاوضات انتهت بالفشل، وفي اليوم الثاني والعشرين من شهر مسرى الموافق الخامس عشر من الشهر الثامن عام ٣٠ ق.م انتحرت الملكة كليوباترا عن طريق لدغة الكوبرا

السامة، وبذلك ماتت آخر ملكة في سلالة البيت البطلمي. وأمر أوكتافيوس على الفور بقتل قيصرون بن يوليوس قيصر، أما بالنسبة لأبنائها من أنطونيوس فقد أبقى عليهم. وبعث بهم إلى روما لترعاهما أخته أوكتافيا مطلقة أنطونيوس[٨].

هكذا أصبحت مصر ولاية رومانية وانتهى حكم أسرة البطالمة في مصر عام ٣٠ ق.م وعيّن أوكتافيان (أغسطس) والياً رومانيًا على مصر هو كورنيليوس جالوس، وأقام بها إدارة رومانية، وحامية رومانية وحاول ضمان الهدوء والأمن العام في البلاد بعد الاضطرابات التي سادت أواخر العصر البطلمي.

أما فيما يتعلق بالمدى الذي وصل إليه في تغيير الأوضاع التي كانت بمصر فإنه محل جدل ونقاش بين العلماء ولكن يبرز إجماع بين العلماء

٨- سيد أحمد علي الناصري: *المرجع السابق*، ص ص ١٤-١٥.

حول بعض الأطر، فبالنسبة لأكثرية السكان من المزارعين فإن حياتهم في قراهم استمرت بلا تغيير جوهري باستثناء أن عبء الضرائب على كاهلهم ازداد ثقلاً لأن الرومان كانوا أكفأ في عملية جباية وتحصيل الضرائب من الحكومات الضعيفة للملوك البطالمة المتأخرين. أما فيما عدا ذلك فإن الحياة في القرى استمرت بطرقها التقليدية القديمة إذ استمر النيل في التدفق بفيضانه السنوي الذي يهب الأرض الخصوبة ويرتفع هذا الفيضان في بعض الأعوام وينخفض في أعوام أخرى وأحيانًا يكون متوسطًا وملائمًا لمحصول جيد أو وفير[٩].

٩- محمد السيد محمد عبد الغني: *المرجع السابق*، ص ص ٧٠ -٧١.